مجلة كلية اللغات

Faculty of Languages Journal

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن كلية اللغات جامعة طرابلس

A Scientific Journal Issued by the Faculty of Languages, University of Tripoli, Libya

JUNE 2023

رقم الإيداع 167/ 2015 دار الكتب الوطنية بنغـازي

ISSN : 2790-4016

الحجاج واستراتيجيات الإقناع في الخطاب السياسي

سكينة رزقي

جامعة السلطان مولاي سليمان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال، المغرب

Soukaina.rizki93@gmail.com

الملخص

ينتمي الحجاج إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف القواعد الداخلية للخطاب، والمتحكمة في تسلسل الأقوال وتتابعها، إذ يرتكز أساساً على درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤثر في المتلقي، وتحمله على تبني موقف معين. وبما أن الخطاب السياسي خطاب حجاجي، فقد حاولنا في هذه الدراسة، تسليط الضوء على "الحجاج واستراتيجيات الإقناع في الخطاب السياسي"، بغية إبراز الجوانب الحجاجية لهذا الخطاب، من خلال الكشف عن بنيته اللغوية المساهمة في بنائه، وكذا الوقوف عند تقنياته وآليات اشتغاله.

ABSTRACT

Al-Hajjaj belongs to research that seeks to discover the internal rules of discourse, which control the sequence and sequence of sayings, as it is mainly based on studying discourse techniques that would affect the recipient and push him to adopt a certain position. Since political discourse is a pilgrim speech, we have tried in this study to shed light on "pilgrims and persuasion strategies in political discourse", in order to highlight the argumentative aspects of this discourse, by revealing its linguistic structure that contributes to its formation and construction, as well as standing at Its techniques and mechanisms of operation.

الكلمات المفاتيح: الحجاج- الإقناع- الآليات- الخطاب السياسي.

مقدمة:

يعد الحجاج من أهم النظريات التي أنتجتها الدراسات الحديثة، وترجع أهميته إلى العودة القوية للبلاغة، تحت ما يعرف اليوم ب "البلاغة الجديدة"، والتي نشأت بعد صدور كتاب "مصنف في الحجاج، البلاغة الجديدة" للفيلسوف "شايم برلمان" (Chaïm perlman)، وزميلته "لوسي أولبريخت تيتيكا"(Lucie Olbrechts-Tyteca). ثم توالت بعد ذلك الأبحاث في مجال الحجاج، وارتبطت بمجالات معرفية مختلفة، منها اللسانيات، والتداوليات، والفلسفة، فتعددت بذلك مظاهره واستعمالاته، وتباينت تعاريفه من حقل معرفي لآخر، بحسب العلوم التي يُوظَّف داخلها.

ونظراً للأهمية القصوى التي يكتسيها الحجاج في مختلف المجالات، وفي كل أنواع الخطاب وأنماطه، فقد وقع اختيارنا على الخطاب السياسي موضوعاً لهذه الدراسة، لكونه من أقوى الخطابات هيمنة وتأثيراً على سلوك الآخر، لارتباطه المباشر والقوي بالأحداث السائدة في المجتمع، من جهة، ولقيمته الحجاجية، بوصفه خطاباً إقناعياً يُنشد التأثير والاستمالة، لما له من آليات وتقنيات تسهم في إحداث تغيير في مواقف المتلقي وآرائه، من جهة أخرى.

وبما أن الحجاج ينتمي إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف القواعد الداخلية للخطاب، والمتحكمة في تسلسل الأقوال وتتابعها، باعتباره يرتكز أساساً على درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤثر في المتلقي، وتحمله على تبني موقف معين، فقد ارتأينا تسليط الضوء على "الحجاج واستراتيجيات الإقناع في الخطاب السياسي"، بغية إبراز الجوانب الحجاجية المكونة لهذا الخطاب، وذلك من خلال الوقوف عند تقنياته

وآليات اشتغاله، والكشف عن بنيته اللغوية المساهمة في تشكيله وبنائه، وتحقيق انسجامه واتساقه.

وحتى لا يكون هذا البحث موغلاً في التنظير، فسنحاول تحليل بعض الأمثلة من خطبة البتراء لزياد بن أبيه تحليلا حجاجيا، باعتبارها من أكثر الخطب تحقيقا لمنطق التأثير والإقناع، ولما تنفرد به من سمات خطابية مميزة.

فما هي إذن أهم التقنيات والآليات الحجاجية التي يُشيّد بها الخطاب السياسي منطق إقناعه، وكيف يُسهم السياق في إنتاج خطاب سياسي مؤثر ومقنع؟

تنبثق عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات، أهمها:

- ما هي أهم التقنيات والآليات اللغوية الحجاجية التي يوظفها الخطاب السياسي قصد توجيه خطابه، وكيف تساهم في بناء النص وانسجامه؟
- ما هي الآليات البلاغية التي يتوسل بها الخطاب السياسي لتحقيق أهدافه الإقناعية؟
- ماهي أهم الآليات الحجاجية شبه المنطقية التي يوظفها الخطاب السياسي لإقناع المتلقي واستمالته؟
- كيف يستثمر الخطاب السياسي آليات التمويه والمغالطة قصد التأثير في المتلقي، وحمله على تبني موقف معين؟

إنّ الإجابة عن هذه التساؤلات لا يتحقق دون تسليط الضوء على قضيتين اثنتين: تقنيات الحجاج اللغوية والبلاغية (المطلب الأول)، وكذا الآليات الحجاجية شبه المنطقية (المطلب الثاني).

المطلب الأول: تقنيات الحجاج اللغوية والبلاغية

مما لا شك فيه أن المخاطِب لا ينتج خطابه عبثاً، ولكن ينتجه من أجل تحقيق أهداف معينة، موظفاً في ذلك مجموعة من الاستراتيجيات التي يعمد إلى انتقائها حسب الهدف الذي يروم تحقيقه، ووفقا لما تقتضيه عناصر السياق.

وبما أن غاية الخطاب السياسي هو الإقناع، باعتباره «عملية خطابية يتوخى بها الخطيب تسخير المخاطب لفعل أو ترك»[1]، فإنه يوظف لتحقيق ذلك خططاً واستراتيجيات معينة، أهمها استراتيجية الإقناع. كما يعمد إلى توظيف آليات وتقنيات حجاجية لغوية (الفقرة الأولى)، وأخرى بلاغية (الفقرة الثانية)، قصد التأثير في المتلقي، وحمله على تبني مواقف معينة.

الفقرة الأولى: الآليات الحجاجية اللغوية في الخطاب السياسي

للغة وظائف كثيرة، تتعدد بتعدد زوايا النظر، ويكمن دورها الرئيس، في التعبير عن المقصد الذي ينويه المتكلم. فهي «ليست أداة أو وسيلة للتخاطب والتفاهم والتواصل فحسب، وإنما اللغة وسيلتنا للتأثير في العالم وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف كلية»[2].

وبما أن الخطاب السياسي خطاب حجاجي، غايته تحصيل الإقناع، فلابد من الإشارة إلى الأسس التي تقوم عليها استراتيجية الإقناع (أولاً)، أو المراحل التي تمر منها عملية إقناع المتلقي بمضمون الخطاب، ثم الوقوف عند آليات الحجاج اللغوية المساهمة في ذلك (ثانياً).

أولاً: أسس استراتيجية الإقناع في الخطاب السياسي

يستند الخطاب السياسي إلى عملية حجاجية قائمة على جملة من العناصر الأساسية المكونة للخطاب، والمساهمة في فعاليته، وهي: المرسِل، وهو المتلفظ بالخطاب ومُنتجه. المرسَل إليه، أو المتلقي: وهو مستقبل الخطاب؛ أي الذي صنع الخطاب لأجله. الرسالة:

وهي مضمون الخطاب، أو الفكرة التي يرسلها المخاطِب إلى المتلقي، سواء أكانت مكتوبة، أو منطوقة. المقصد: وهو الهدف من إنتاج الخطاب. ثم القناة: أي وسيلة الاتصال، أو الأداة التي يتم عن طريقها نقل الرسالة من المرسل إلى المرسل إليه[3].

وتمر عملية إقناع المتلقي بمضمون الخطاب عبر أربع مراحل متوالية، وهي:

نية الإقناع: وتعتبر سابقة في حضورها عن إنجاز الرسالة، والحافز الأول على إنجازها. فقبل أن يتوجه المخاطِب إلى المتلقي برسالة ما، لابد أن يحصل لديه عزم على إقناع هذا المتلقي بشيء ما، فيعمد إلى صياغة رسالته في إطار نسق تشكله مجموعة قواعد، وتواضعات لغوية وغير لغوية، مشتركة بينه وبين المتلقي.

نية التلقي: أي استعداد المتلقي لاستقبال الرسالة، والتجاوب معها، من خلال الانتباه والتركيز عند تلقي الخطاب.

فعل الإقناع: وهو إنجاز الرسالة كاملة، وفق الآليات والتقنيات الحجاجية الممكنة. وينقسم إلى قسمين:

- الإقناع العقلاني: ويتحقق حينما يقدم المخاطِب معلومات حقيقية، وحججاً منطقية لإقناع المتلقي بما يتضمنه الخطاب، دون استعمال أساليب التمويه والخداع.
- الإقناع التوهيمي: أو الإقناع الخداعي، ويتحقق حينما يسعى المخاطِب إلى إقناع المتلقي عن طريق تشويه وتزييف بعض جوانب الحقيقة، واللجوء إلى أساليب التضليل والمغالطة. فهذا النوع من الإقناع لا يتعامل مع الناس بوصفهم غايات في ذواتهم، وإنما باعتبارهم أداة ووسائل في سبيل الوصول إلى أهدافهم، وتحقيق مبتغاهم.

فعل التلقي: وهو تلقي الرسالة كاملة دون تشويش، أو حدوث انقطاعات تعوق المجال التواصلي. وتجدر الإشارة إلى أن المتلقي قد يستجيب لرغبة المخاطِب كلياً أو جزئياً، وقد يرفض، وبالتالي، يحبط محاولة المرسِل في التأثير عليه[4].

ثانياً: الآليات الحجاجية اللغوية

يتوخى الخطاب السياسي إقناع المتلقي واستمالته إلى فعل معين، ولبلوغ ذلك الهدف، لابد من استعمال أدوات وآليات لغوية أبرزها:

1- ألفاظ التعليل: وتعد من الأدوات اللغوية التي تساهم في تركيب وبناء الخطاب السياسي، والتي يستعملها المخاطب عادة لتبرير أو تعليل فعل معين، ومنها: المفعول لأجله، وكلمة السبب، ولأنّ[5].

وكمثال على ذلك قول بن أبيه: (من نُقب منكم عليه، فأنا ضامن لما ذهب منه). فعبارة "فأنا ضامن لما ذهب منه"، جملة تعليلية تفيد تأكيد الخبر، وتحققه، وقد مال الخطيب إلى استخدامه قصد التأثير في المتلقي، وحثه على قبول الأحكام المعللة.

2- الأفعال اللغوية: ومضمون هذه النظرية، أن اللغة ليست مجرد أداة للإخبار ونقل المعلومات فقط، بل هي وسيلة للتأثير في الآخرين، عن طريق أفعال كلامية ينجزها المخاطب لتحقيق أغراض إنجازية، كالأمر، والنهي، والتمني، والاستفهام... وغيرها من الأقوال الإنجازية التي تحدد وتعيّن مواقف المتكلم، وتمكنه من تحقيق أفعال كلامية[6].

وبناء على ذلك، فالخطاب السياسي لا تتمثل وظيفته في الإخبار، ولا يقف عند حدود وصف الواقع، بل هو عمل يطمح المخاطِب من خلاله إلى إحداث تغيير معين في سلوك المتلقي، فينجز من خلال الأفعال الكلامية حججاً قوية من شأنها أن تقنع المتلقي وتؤثر فيه، ومن بين هذه الأفعال:

- الاستفهام: ويعد من أنجع أنواع الأفعال اللغوية حجاجاً، ولاسيما الاستفهام التقريري. فالأسئلة أكثر إقناعا للمتلقي، وأقوى حجة عليه، وخاصة إذا كان قصد المخاطِب غير مباشر[7].

ومن الأمثلة الواردة في خطبة زياد قوله:

المثال1: (أتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا، وسدت مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية).

جاءت هذه الجملة مصدرة بأداة الاستفهام "الهمزة"، وهنا يتبين من السياق الاستفهامي أن بن أبيه لا ينتظر جوابا من المتلقي، وإنما استخدم الاستفهام الإنكاري للدلالة على التوبيخ.

المثال2: (ألم يكن منكم نهاة تمنح الغواة عن دلج الليل وغارة النهار).

وظف بن أبيه أداة الاستفهام (الهمزة)، و(لم)، وذلك لتذكير قومه بالأمجاد بغية الاقتداء بهم، والسير على نهجهم.

- الأمر: ويعد من الأفعال الإنجازية، ولكنه إنجاز ضمني، يتمثل في محاولة حمل المخاطب على القيام بفعل معين، فهو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء. وقد يخرج الأمر عن معناه الأصلي، ليفيد معان أخرى تستفاد من سياق الكلام، كالتهديد، والتعجيز، والدعاء، والالتماس[8]، وغيرها من الأغراض التي يبني عليها المخاطِب أسلوب الأمر لتحقيق أهدافه الإقناعية.

وقد استعمل زياد بن أبيه أسلوب الأمر بصورة متكررة، أهمها:

المثال1: (فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي).

المثال2: (فكُفّوا عني أيديكم وألسنتكم، أكفُف عنكم يدي ولساني).

نستشف من خلال هذه الأمثلة أن الأمر يحمل في طياته معنى ضمني غير مباشر يفهم من سياق الكلام، وهو التهديد والترهيب الذي خصه الخطيب لقومه إذا لم يلتزموا بأوامره.

المثال3: (فمن كان منكم محسنا فليزدد إحساناً).

المثال4: (من كان منكم مسيئا فلينزع عن إساءته).

نلاحظ هنا أن السمة الغالبة في المثالين السابقين هي النصح والإرشاء، ففي هذا الخطاب أمر صريح، وحث على الابتعاد عن الإساءة، ومواصلة الاحسان والاستمرار فيه.

- النهي: لا يختلف النهي عن الأمر كثيراً، فهو كذلك من الأفعال الإنجازية التوجيهية. وهو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام. وقد يخرج النهي عن معناه الحقيقي، للدلالة على معان أخرى، كالالتماس، والإرشاد، والدعاء، والتمني... وغيرها، حسب ما يقتضيه السياق وقرائن الأحوال[9].

وقد ورد هذا أسلوب النهي في خطبة زياد في قوله:

المثال1: (لا تظهر من أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه).

استعمل بن أبيه النهي بهذه الصيغة، ليُحقق هدفه الإقناعي عن طريق التهديد والوعيد الذي يوجهه الخطيب لأهل البصرة جراء مخالفتهم لأوامره، وبهذا يكون قد ألزمهم على طاعته.

المثال 2: (ولا تُشربوا قلوبكم بغضهم، فيشتد لذلك غيظكم).

جاء هذا النهي دالا على النصح والإرشاد، إذ يهدف الخطيب من خلاله إلى نشر الأخلاق الحميدة في قلوب مخاطبيه، وذلك من خلال دعوتهم إلى ترك الحقد والكراهية؛ لأنها سبب انتشار العداوة والضغينة بين الناس.

- النداء: ويعتبر من بين الآليات اللغوية الأكثر تأثيرا في التوجيه، لكونه يستدعي إقبال الأذهان إلى ما يحمله صاحب الخطاب. وقد ورد هذا الأسلوب في خطاب زياد بن أبيه مرة واحدة في قوله:

(أيها الناس إنا أصبحنا لكم ساسة، وعندكم ذادة).

نلاحظ في هذا المثال أن أداة النداء (يا) محذوفة، والمنادى اسم إشارة مبني، وقد جاء بصيغة مباشرة للفت انتباه المخاطب، وجعله يُقبل على ما سيلقيه، ويوجّهه للتسليم به.

3- الاستدراج بالسؤال: ويندرج هذا النهج في السؤال ضمن ما يمكن أن نسميه بالمحاججة الاستفهامية، فالسؤال لا يقف عند مطلب الاستخبار فقط، بل يتعداه لأن يكون تقنية استراتيجية مهمة، يعتمدها المخاطِب إما لمفاجأة المتلقي، أو لإحراجه، وإقامة الحجة عليه[10].

4- الحجاج بالتبادل: إنّ أهم ما يميز هذا النوع من الحجاج، أنّ المخاطِب يصف الحال نفسه في وضعين ينتميان إلى سياقين متقابلين، بهدف إقناع المتلقي، وذلك نحو: "لا ترضى لي إلا ما ترضاه لنفسك"[11].

وقد وظف ابن أبيه الحجاج القائم على التبادل بكثرة في خطبته، قصد استمالة المتلقي والتأثير فيه، ومن أمثلة ذلك قوله:

المثال 1: (فمن غرّق قوما غرقناه، ومن أحرق قومنا أحرقناه).

المثال 2: (فكفوا عني أيديكم وألسنتكم، أكفف عنكم يدي ولساني).

المثال 3: (فلكم علينا السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل والإنصاف فيما ولينا).

5- الوصف: يستعمل الوصف كآلية حجاجية تساهم في إقناع المتلقي، ويشمل عدداً من الأدوات اللغوية أهمها: الصفة، اسم الفاعل، واسم المفعول.

- *الصفة*: وتعد من الأدوات التي تُضفي على الخطاب السياسي قوة إقناعية، وذلك باستعمال المخاطِب لنعت أو لقب معين، ليؤسس عليه فعلاً حجاجياً، كاستعمال ألقاب القرابة، مثل لفظ "إخوة"، لتبيان درجة العلاقة التي تجمع بينه وبين مخاطبيه، قصد توجيه انتباه المتلقي إلى ما يريد أن يقنعه به في حجاجه[12].

وتظهر الصفة جليا في قول بن أبيه:

(إنا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا).

استعمل الخطيب الوصف كآلية حجاجية لإقناع أهل البصرة، وإحداث تغيير في أفكارهم ومعتقداتهم، وإلزامهم بالطاعة له، وذلك بوصفه أنه صاحب الحق الإلهي في السلطة، معتبرا أن مشيئة الله هي التي خولت له الحكم والسلطان، لذا وجب عليهم السمع والطاعة.

- *اسم الفاعل*: هو «اسم مشتق، يدل على معنى مجرد، حادث، وعلى فاعله. فلا بد أن يشتمل على أمرين معاً؛ هما: المعنى المجرد الحادث، وفاعله»[13]. ويعد من أدوات الوصف الحجاجية، إذ لا يُدرجه المتكلِّم في خطابه من أجل الوصف في حد ذاته، وإنما من أجل إدراج الحجج القوية التي تُسوّغ له إصدار حكمه قصد الوصول إلى النتيجة التي يريد تحقيقها.

ويتجسد في قول بن أبيه:

المثال 1: (وإني أقسم بالله لآخذن الولي بالمولى، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والمطيع بالعاصي).

استعمل بن أبية الوصف من خلال توظيفه اسم الفاعل (الظاعن)، و(العاصي)، وذلك ليوقع التأثير العميق في المستمعين، وليقنعهم بسياسته وأحكامه المتشددة، ويبين عزمه ونيته في الإقدام على تنفيذها.

المثال 2: (لست محتجباً عن طالبِ حاجة منكم ولو أتاني طارقاً بليل، ولا حابساً عطاء ولا رزقاً عن إبانة).

وظف ابن أبيه اسم الفاعل بكثرة في خطبته الموجهة لأهل البصرة، (طالب)، (طارقا)، و(حابسا)، حيث وجّه إليهم بعض الحقائق التي تمثل العلاقة بين الراعي والرّعية، وبين الحاكم والمحكومين، لإقناعهم والتأثير فيهم.

- *اسم المفعول*: ويعد من نماذج الوصف التي يعتمدها الخطاب السياسي كحجة لإقناع المتلقي، فهو «اسم مشتق، يدل على معنى مجرد، غير دائم، وعلى الذي وقع عليه هذا المعنى، فلا بد أن يدل على الأمرين معاً»[14].

ويتجسد الوصف بصورة اسم المفعول في قوله بن أبيه:

(فرب مبتئس بقدومنا سيسر، ومسرور بقدومنا سيبتئس).

استعمل بن أبيه الوصف في خطابه متجسدا في صورة اسم المفعول، وذلك في قوله: (مسرور)، وقد أراد من هذا التوظيف أن يُظهر شعور الفجار والمخالفين، ويبين لهم أنه يعلم أنهم كارهين لخطابه وغير راغبين فيه.

وعليه، يمكن القول إن زياد بن أبيه قد استطاع من خلال استعماله أسلوب الوصف، أن يرقى بخطابه إلى أعلى مراتب الإقناع، حيث استند إلى عرض سلسلة من

النعوت والأوصاف التي تحمل في طياتها أسلوب الترغيب والترهيب، ليجعل من خطابه مادة حجاجية غايتها التأثير والإقناع بما يتضمنه الخطاب.

استناداً إلى ما تقدم، يمكن القول إن المخاطِب السياسي لا يقتصر في خطابه على هذه الآليات التي ذكرناها فحسب، بل يستطيع أن يُشكّل خطابه وفق استراتيجيات متعددة ومتنوعة، حسب ما يقتضيه السياق الذي أُنتج فيه، ومدى الحاجة إلى توظيف استراتيجية معينة دون غيرها.

الفقرة الثانية: الآليات الحجاجية البلاغية في الخطاب السياسي

يتوسل الخطاب السياسي بجملة من الأساليب البلاغية لتوجيه خطابه، باعتبارها آلية من آليات الحجاج، تتضمن مجموعة من الصور البيانية التي تساهم في تثبيت القول، واستمالة المتلقي وإقناعه. ونظراً لكون البلاغة تحتوي على أساليب متعددة ومتنوعة، فقد ارتأينا تسليط الضوء على ثلاثة أساليب: الاستعارة، الكناية، والتمثيل.

أ- الاستعارة[15]: وتعد من الوسائل التي يعتمدها المخاطِب السياسي بشكل كبير للوصول إلى أهدافه الحجاجية، باعتبارها أقوى حضوراً، وأبلغ حجة من المعنى الحقيقي، لما تُحدثه من تأثير في المتلقي، إذ ترسخ الحجة، وتشغل الذهن عن التفكير في مدى صدقية محتواها.

ويمكن التمييز بين نوعين من الاستعارة: استعارة بديعية: وتكون مقصودة لذاتها، ولا ترتبط بمقاصد المتكلمين وأهدافهم الحجاجية. واستعارة حجاجية: وهي ما يهمنا في هذا المقام، لكونها تهدف إلى إقناع المتلقي والتأثير فيه، كما تعد أكثر انتشاراً لارتباطها بمقاصد المتكلمين، وبسياقاتهم التخاطبية[16].

ومن أمثلة الاستعارة في خطاب بن أبيه قوله: (ولا تُشربوا قلوبكم بُغضَهم، فيشتد لذلك غيظكم).

جاءت الاستعارة في هذا المثال مكنية، حيث تم تشبيه القلوب بالإنسان الذي يشرب الماء، فحذف الإنسان، وهو المشبه، وترك شيئا من لوازمه وهو الشرب.

ب- الكناية: وتعد من وسائل الحجاج والتفنن في القول، فهي تساهم في إثبات المعنى على وجه أبلغ من الحقيقة. والمراد بها: «أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ المذكور له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه»[17].

وتتجلى الكناية في قول بن أبيه: (الضعيفة المسلوبة)، وهي كناية عن المرأة التي تتعرض للاختطاف والاغتصاب.

ج- التمثيل: ويعد من أكثر الآليات استعمالاً، وأشدها تأثيراً، فهو طريقة حجاجية قائمة على الترابط بين أشياء من مجالات مختلفة. ولعل ما يُؤسّس أصالة التمثيل، وما يميزه عن مفهوم المشابهة المستهلك، أنه ليس علاقة مشابهة، وإنما هو تشابه علاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة[18].

ولعل من أمثلة هذا الحجاج القائم على التمثيل قول زياد بن أبيه:

(كأنكم لم تقرؤوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكبير لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته).

فالعلاقة هنا ليست علاقة تشابه وإنما تشابه علاقة، ذلك أن المؤمن ينال الثواب جزاء لطاعته، والمشرك ينال العذاب الأليم لكفره ومعصيته.

د- البديع: لا يقف دور البديع عند الوظيفة الشكلية، باعتباره محسناً بديعياً فقط، بل يعد عنصراً أساسياً في بناء حجاجية الخطاب السياسي، لقدرته على استمالة المتلقي والتأثير فيه. وعليه، ف «أساليب البيان مثل المقابلة والجناس والطباق، وغيرها، ليست اصطناعاً للتحسين والبديع، وإنما هي أصلاً أساليب للإبلاغ والتبليغ».[19]

ومن بين المحسنات البديعية، نجد الطباق، وقد استخدمه بن أبيه بكثرة في خطبته، لبلوغ مقصده، وتحقيق مبتغاه، المتمثل في تغيير أفكاره ومعتقدات قومه، وإرجاعهم إلى الطريق الصواب. ومن ذلك: (الكبير، الصغير)، (العذاب، الثواب)، (الفانية، الباقية)، (الطاعة، المعصية).

ه- التكرار: ويعد من الوسائل الفعالة في التأثير على المتلقي، يُستخدم قصداً لا اعتباطاً، ويراد به غالباً التأكيد أو النفي. كما يُوظف للفت انتباه المخاطَبين إلى أمر معين، وطمعاً في استمالة عقولهم لتأييد المشروع الخطابي[20]. ومن ذلك تكرار أداة التوكيد "إن"، (إنّ كذبة المنبر، إن لي فيكم لصرعى، إنا أصبحنا لكم ساسة...).

استناداً إلى ما تقدم، يمكن القول إن الآليات اللغوية والبلاغية المستعملة في الخطاب السياسي، لا يمكن حصرها في نقطتين أساسيتين، ولا يمكن القول بأنها تستند إلى قوانين معينة، وإنما تتمتع بأدوات وأساليب متعددة، تسمح للمخاطِب استعمالها بالشكل الذي يضمن له إقناع المتلقي والتأثير فيه. كما أن السياق العام للخطاب، هو من يحدد ويفرض توظيف آلية حجاجية دون أخرى.

المطلب الثاني: الآليات الحجاجية شبه المنطقية

يستند الخطاب السياسي-كما رأينا سابقاً- على فعل إنجازي هو "فعل الإقناع"، بوصفه عملية خطابية، يتوخى المخاطِب من خلالها استمالة المتلقي والتأثير فيه، عبر توظيف جملة من الآليات الحجاجية.

والجدير بالذكر، أن الخطاب السياسي، وكغيره من الخطابات، لا يتقيد في استراتيجية إقناعه بآليات وتقنيات معينة، بل ينتقي ويوظف ما يراه مناسباً لخدمة قضيته وقناعاته. كما يوظف عدداً كبيراً من الحجج، لتدعيم خطابه، وجعله أكثر

إقناعاً. وتتفاوت هذه الحجج في قوتها ودرجة إقناعها، فيلجأ المخاطِب إلى ترتيبها ترتيباً محكماً ومنظماً، من أضعف حجة إلى أقواها، وتسمى هذه العلاقة الترتيبية للحجج بالسلم الحجاجي[21]، ويتحقق باستعمال أدوات لغوية (الفقرة الأولى)، وأخرى شبه منطقية (الفقرة الثانية).

الفقرة الأولى: الأدوات اللغوية

يمكن التمييز بين نوعين من الأدوات اللغوية التي تحقق السلم الحجاجي: الروابط الحجاجية (أ)، والعوامل الحجاجية (ب).

أ- الروابط الحجاجية:

يتضمن الخطاب السياسي، بوصفه خطاباً حجاجياً، مجموعة من الروابط الحجاجية التي تُسهم في توجيه الحجج وتقويتها، كما تُسهم بشكل فعال في اتساق الخطاب وانسجامه، إذ تقوم بالربط بين قولين أو أكثر، وترتيب درجة حجيتها في الخطاب. ومن بين أدواتها: لكن، بل، لأن، إذن، بما أن، حتى، حروف العطف...[22].

ويمكن التمييز بين أنماط عديدة من الروابط:

- *الروابط المدرجة للحجج:* وتعمل على إدراج الحجج وربطها بالنتائج، وتأتي الحجج دائما مدرجة بعد هذه الروابط لتأكيد النتيجة وتفسيرها. ويمكن التمثيل لها ب: (لكن، بل، حتى، لأن...).
- *الروابط المدرجة للنتائج:* تعمل على إدراج النتائج وربطها بالحجج، فتأتي النتيجة مدرجة بعده؛ أي أن هذه الروابط تسبقها حجة، وتُدرج النتيجة بعده. ومن هذه الروابط: (بالتالي، إذن، لهذا...).
- *روابط التعارض الحجاجي:* وتعمل على الربط بين حجتين متعارضتين، فتكون الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى، ومعارضة لها. وأهمها: (بل، لكن، مع ذلك...).

- *روابط التساوق الحجاجي:* وتربط بين حجتين أو أكثر تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة؛ أي أن جميع الحجج تخدم نتيجة واحدة. ومنها: (حتى، لاسيما...)[23].

ب- العوامل الحجاجية:

إذا كانت الروابط الحجاجية تربط بين حجتين، فإن العوامل الحجاجية تقوم بتقييد وحصر الإمكانات الحجاجية التي تكوّن لقول ما، وتضم أدوات من قبيل: كاد، تقريباً، كثيرا، قليلاً، ربما، لا...إلا، وجل أدوات القصر[24].

وقد وظف بن أبيه مجموعة من الروابط والعوامل الحجاجية لتوجيه حججه وتقويتها، ومن بينها:

المثال 1: (ما أنتم بالحلماء، ولقد اتبعتم السفهاء...أُنجُ سعد فقد هلك سعيد...فإنا قد جُربنا وجربنا).

نلاحظ من خلال هذا المثال أن الرابط (قد) ساهم بشكل كبير في تأكيد هذه الحجج وتقويتها، ومن ثم إقناع المتلقي والتأثير فيه. فابن أبيه استخدم هذه الحجج لردع مخاطِبيه، وإرجاعهم إلى الطريق الصواب، مبيّنا أن الأعمال التي يقومون بها هي خروج عن الدين الإسلامي.

المثال 2: (إن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والغي الموفي بأهله على النار).

استهل بن أبيه خطابه بأداة التوكيد (إن)، ثم ربط بين حججه بحرف العطف (الواو) الذي يفيد الاشتراك في الحكم، فجاءت مرتبة ترتيبا تصاعديا، حيث نعث قومه بصفات الجاهلية لابتعادهم عن الطريق الصواب، ثم جاءت الحجة الثانية لتبين أنهم ابتعدوا عن الطريق الصحيح، فأصبحوا لا يبصرون الحقيقة، ثم ختم بحجة ثالثة وهي بمثابة نتيجة للحجج التي سبقتها، ألا وهي العقاب بدخولهم انار.

الفقرة الثانية: الآليات شبه المنطقية

يلجأ الخطاب السياسي إلى الاستدلال بمجموعة من الحجج، تعزيزاً لمصداقية خطابه وقدرته الإقناعية. فبالإضافة إلى التقنيات الحجاجية اللغوية والبلاغية التي يوظفها، فإنه يعمد إلى استثمار أساليب وطرائق حجاجية أخرى، كالآليات الحجاجية شبه المنطقية (أولاً)، وأساليب التعبير الجسدي، التي تساهم في تشكيل الخطاب، وتساعد في عملية الإقناع (ثانياً).

أولا: الآليات الحجاجية شبه المنطقية

سميت هذه الحجج بشبه المنطقية لكونها مشابهة للمنطقية في عدم إلزامها، وهي ذات تفاوت في القوة والضعف. وتستمد قوتها الإقناعية من مشابهتها للطرائق الشكلية، والمنطقية، والرياضية، في البرهنة[25]. ومن أهمها: حجة الدليل، أو ما يسمى بالحجج الجاهزة، وتعتبر من الحجج القوية التي تحقق الوظيفة الإقناعية والتأثيرية، إذا ما تم انتقاؤها وتوظيفها توظيفاً مناسباً يتلاءم مع السياق. فهي ليست من إنتاج المخاطِب، وإنما تكتسب قوتها الإقناعية من مصادرها، فتسهم في منح قوة سلطوية للخطاب، بحيث لا يمكن دحضها وإبطالها بسهولة، ومنها: استعمال الشواهد القرآنية، والحديثية، والشواهد الشعرية والتاريخية، والأمثال والحكم[26].

وتجدر الإشارة في هذا السياق، إلى أن خطبة زياد بن أبية جاءت خالية من الشواهد، سواء كانت قرآنية، أو شعرية، أو غيرها.

ثانياً: أساليب التعبير الجسدي

يعد سلوك المرسل من أبرز الآليات المساهمة في تشكيل الخطاب، باعتباره عنصراً حجاجياً، يوضح الألفاظ ويؤكدها، أو قد ينوب عنها، ويشمل مجموعة من العناصر أهمها: الإشارات الجسدية للمخاطِب، ومظهره، ونغماته الصوتية.

أ- الأداء الحركي، أو الإشارات الجسدية: وتشمل حركات الجسد، كالإشارة باليد، والالتفاتة، وطأطأة الرأس، واستقامة الهيأة، وغيرها من الإشارات التي يستعين بها المخاطب لتعزيز خطابه، بغية استمالة المتلقي وشد انتباهه[27].

ب- الأداء الصوتي: يلعب الأداء الصوتي في الخطاب السياسي دوراً مهماً في السياق التواصلي مع المتلقي، إذ يعبر عن ذات المتكلم، ويقدم انطباعاً أولياً عن حالته النفسية. فتفنن المخاطب في استخدام التلوينات الصوتية، كرفع نبرات الصوت وخفضها، وطريقة إيراد الكلمات ونطقها، والتوقف بين الجمل، والتركيز على كلمات بعينها، تُضفي على الخطاب قوة إقناعية، وتساهم بشكل كبير في عملية التأثير.[28]

ج- المظهر الخارجي: للمظهر الخارجي، أو الهيئة، دور مهم في الكشف عن هوية المخاطِب، كما له تأثير كبير على المتلقي، إذ لا يقف عند الوظيفية الاتصالية فحسب، بل يتعداها إلى الوظيفة الإقناعية[29].

خاتمة

تناولنا على امتداد هذه الدراسة، استراتيجيات التأثير والإقناع في الخطاب السياسي، وقد حاولنا رصد أهم الآليات والتقنيات الحجاجية التي وظفها زياد بن أبية في خطبته المعروفة بالبتراء، والتي استطاع من خلالها أن يؤثر ويقنع قومه بالرجوع إلى الدين الإسلامي، فزاوج بين الرغيب والترهيب لتلاؤمهما مع السياق، كما وظف جملة من الآليات اللغوية والبلاغية لخدمة مقاصده الإقناعية.

وقد خلصنا من خلال هذه الدراسة إلى أن الخطاب السياسي خطاب حجاجي، يطمح المخاطِب من خلاله إلى إحداث تغيير في سلوك المتلقي، وحمله على تأييد وقبول ما يتضمنه الخطاب من رؤى ومواقف سياسية، معتمداً في ذلك على أساليب وتقنيات

حجاجية متنوعة، تتظافر فيها الآليات اللغوية، والبلاغية، وشبه المنطقية، فضلا عن مكونات تعبيرية أخرى، كالأداء الحركي، والصوتي، والمظهر الخارجي، فهو خطاب منفتح على كل الطرائق الممكنة، مادامت تؤدي وظيفة الفعل الإقناعي.

ومن هذا المنطلق، يمكن القول إن الخطاب السياسي لا يتقيد في استراتيجية إقناعه بآليات معينة، بل يستطيع أن يُشكّل خطابه وفق أساليب وتقنيات حجاجية متعددة، يتحكم في طبيعتها السياق، باعتباره الركيزة الأساسية في توجيه وإنتاج الخطاب، والمتحكم في توظيف آلية حجاجية دون أخرى. فلكل مقام حجج تناسبه دون غيره، وبتغير السياق والمقام، تتغير الحجج.

ولا يسعنا في نهاية هذه الدراسة، إلا أن نشير إلى أن ارتباط هذه الآليات الحجاجية مع بعضها البعض، وحسن انتقائها وفق ما يتطلبه السياق، يُسهم بشكل كبير في بناء خطاب سياسي منسجم ومقنع، وفي إنجاح العملية التواصلية التي يسعى المخاطِب من خلالها إلى إقناع المتلقي والتأثير فيه.

الهوامش والحواشي السفلية:

---

(1) حمو النقاري: "**حول التقنين الأريسطي لطرق الإقناع ومسالكه مفهوم "الموضع"**، مجلة **كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، 1987م، العدد 9، ص- ص 87-115.

(2) جون أوستين (ت 1960م): "**نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)**"، ترجمة عبد القادر قينيني، دار افريقيا الشرق، المغرب، (د. ط)، 1991م، ص 6.

(3) للاستزادة ينظر: محمود عكاشة، "**لغة الخطاب السياسي: دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال**"، دار النشر للجامعات، القاهرة- مصر، ط 1، 1426ه- 2005م، ص، ص 24، 30. و"**تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة: دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في**

الخطاب النسوي في القرآن الكريم"، ط 1، دار النشر للجامعات، القاهرة- مصر، 2013م، ص، ص 29، 30.

(4) للتوسع أكثر في هذه المراحل ينظر: عبد الإله بوحمالة: "**آليات اشتغال الخطاب السياسي الحزبي في المغرب**"، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا (ماجستير) في الصحافة، المعهد العالي للإعلام والاتصال، المملكة المغربية، دجنبر 2011، ص، ص 38، 40.

(5) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: "**استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية**"، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت- لبنان، ط 1، 2004م، ص 478.

(6) تنتمي نظرية أفعال الكلام إلى حقل التداوليات، ويعتبر "أوستن" من المؤسسين الأوائل لهذه النظرية، ثم تطورت مع جون سيرل وبول غريس وستراوسن. تميزت هذه النظرية بنقد وتجاوز أطروحة فلاسفة الوضعية المنطقية الذين اعتبروا أن وظيفة اللغة الأساسية هي الإخبار ونقل المعلومات، وأنها وسيلة لوصف الواقع وتخضع لمعيار الصدق والكذب. وقد رفض أوستين فكرة اقتصار اللغة على تمثيل الوقائع، وأنها مجرد أداة للتواصل، واعتبرها وسيلة للتأثير في الآخرين عبر إنجاز أفعال معينة. وقد اقترح أن ينظر إلى الفعل اللغوي من ثلاث زوايا: التلفظ، والنطق، والخطابة. فقسم بذلك أفعال الكلام إلى ثلاثة أنواع: فعل الكلام، وقوة فعل الكلام، ولازم فعل الكلام. للتوسع أكثر ينظر: أوستين: "**نظرية أفعال الكلام العامة**"، مرجع سابق، ص7.

(7) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: "**آليات الحجاج وأدواته**"، ضمن كتاب "الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة"، إعداد وتحرير حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط 1، 1431ه- 2010م، ص 85.

(8) أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت 626ه، 1229م): "**مفتاح العلوم**"، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 1، 1403ه- 1983م، ج 1، ص 318.

(9) السيد أحمد الهاشمي: "**جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**"، ضبط وتدقيق وتوثيق د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط 1، 1999م، ص 76.

[10] أنور الجمعاوي: "**استراتيجيات الحجاج في المناظرة السياسية: مناظرة التنافس على الرئاسة بين نيكولا ساركوزي وفرانسوا هولاند**"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، مايو 2013، ص، ص 29، 30.

[11] الشهري: "**استراتيجيات الخطاب**"، مرجع سابق، ص، 486.

[12] الشهري: "**آليات الحجاج وأدواته**"، ضمن كتاب "الحجاج مفهومه ومجالاته "، مرجع سابق، ج 1، ص 88.

[13] عباس حسن: "**النحو الوافي**"، دار المعارف، مصر، ط 15، (د. ت)، ج 3، ص 238.

[14] الصدر نفسه، ص 271.

[15] يقول **عبد القاهر الجرجاني** (ت 471ه، 1078) في تعريف الاستعارة: «اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية». عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني: "**أسرار البلاغة**"، تحقيق محمد محمود شاكر، دار المدني، جدة، (د. ط)، 1991م، ص 30. وكمثال على ذلك قولنا: "رأيت أسدا"، والمراد أنك رأيت رجلا كالأسد في شجاعته وقوة بطشة. وللتوسع أكثر ينظر: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني: "**دلائل الإعجاز**"، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي- مطبعة المدني، القاهرة، مصر، (د. ط)، (د. ت)، ص 67.

[16] أبو بكر العزاوي: "**اللغة والحجاج**"، العمدة في الطبع، الدار البيضاء- المغرب، ط 1، 1426ه-2006م، ص، ص 108، 109.

[17] للتوسع أكثر ينظر: الجرجاني: "**دلائل الإعجاز**"، مرجع سابق، ص 66. ومثال عن ذلك قول العرب: "هو طويل النجاد"، والمراد أنه "طويل القامة". وفي المرأة "نؤوم الضحى"، والمعنى أنها مُتْرَفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها". المصدر نفسه.

[18] عبد الله صولة: "**الحجاج: أُطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج -الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه**"، ضمن كتاب: "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس،

ص 339. وعبد السلام عشير: "**عندما نتواصل نغير مقاربة تواصلية معرفية لآليات التواصل والحجاج**"، أفريقيا الشرق، المغرب، (د. ط)، 2006م، ص 97. ومن أمثلة التمثيل قولنا: "أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى"، والمقصود: أنه متردد في أمره كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى. ينظر: **الجرجاني**: "دلائل الإعجاز"، مرجع سابق، ص 68، 69.

(19) طه عبد الرحمان: "**مراتب الحجاج وقياس التمثيل**"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب، العدد 9، ص 18. نقلا عن: الشهري: "استراتيجيات الخطاب"، مرجع سابق، ص 498.

(20) يوسف ولد النية: "**الحجاج في الخطاب السياسي قراءة في أساليب الاقناع**"، مجلة المعيار، الجزائر، المجلد 23، العدد 45، 2019، ص 893- 894.

(21) يعرف السلم الحجاجي بأنه علاقة ترتيبية للحجج حسب قوة ودرجة إقناعها «مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية ومُوَفية بالشرطين التاليين:

أ- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال.

ب- كل قول في السلم كان دليلاً على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى». طه عبد الرحمن: "**في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 2، 2000م، ص 105. وللسلم الحجاجي قوانين يحتكم إليها يمكن تلخيصها في ثلاثة قوانين رئيسية: قانون الخفض: ومقتضى هذا القانون، أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها. قانون تبديل السلم: إذا كان القول دليلا على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله. قانون القلب: إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول. للتوسع أكثر ينظر: طه عبد الرحمن، "**اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1998م، ص، ص 277، 278.

(22) العزاوي: "**اللغة والحجاج**"، مرجع سابق، ص 26.

(23) – العزاوي: "**اللغة والحجاج**"، مرجع سابق، ص، ص 26، 27.

[24] – المصدر نفسه، ص 27.

[25] عبد الله صولة (ت1430ه، 2009م): "**في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات**"، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط 1، 2011م، ص 42.

[26] – للتوسع أكثر ينظر: محمد العمري: "**في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية**"، أفريقيا الشرق، المغرب، ط 2، 2002م، ص- ص 90- 94، وأبو بكر العزاوي: "**الخطاب والحجاج**"، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط 1، 2010م، ص 88.

[27] أنور الجمعاوي: "**استراتيجيات الحجاج في المناظرة السياسية**"، مرجع سابق، ص 53.

[28] المصدر نفسه، ص 55.

[29] يوسف ولد النية: "**الحجاج في الخطاب السياسي**"، مرجع سابق، ص 903.